سر الطبق الطائر

محمود سالم

سر الطبق الطائر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سر الطبق الطائر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٨٠٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
قلعة ... في قلب الجليد!	١١
مفاجآت مذهلة!	١٧
حقيقة الأطباق الطائرة!	٢٣
«نانو» ... والانتقام الرهيب!	٢٩
معركة مع الآليِّينَ	٣٣
خطة لإنقاذ العالم ... ولكن!	٣٧
نجدة ... في اللحظة الأخيرة!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

قلعة ... في قلب الجليد!

انطلق الطبق الطائر بسرعة كبيرة، وبداخله «أحمد» و«عثمان»، بعد أن قامت المخلوقات العجيبة القصيرة بداخله بأسرهما.

وتأمل الشيطانان المكان المسجونَينِ فيه بداخل الطبق الطائر ... كان أشبه بمشهد في فيلم عن الخيال العلمي؛ فالجدران مُصفَّحة من الصُّلب القاسي، وهناك بعض الأجهزة الإلكترونية العجيبة الشكل، مزودة بشاشات مغناطيسية، ولمبات دقيقة، تضيء وتنطفئ بترتيب خاص، وينبض فوق شاشاتها أشكال مبهمة، ونقاط لامعة، كأنها نجوم بعيدة، وكان هناك مقعدان صغيران من لدائن البلاستيك القوي، ما إن جلس فوقهما الشيطانان حتى التف حول معصمَيْهما قيد بلاستيك من المقعدَينِ، وكان من الواضح أنَّ القيود مصنوعة من لدائن بلاستيكية قوية كالصلب.

وكان رُكَّاب الطبق الطائر من المخلوقات الفضائية لا يزيد عددهم على أربعة أشخاص، كانوا يتحركون في صمت بدون أن ينطقوا بكلمة واحدة، وإنما كانت خطواتهم وحركاتهم أشبه بالحركات الآلية، وانشغلوا جميعًا في قيادة الطبق الطائر، وتفحُّص الشاشات الإلكترونية المُعقَّدة، والتعامل معها، وكان واضحًا أنهم لا يخشون الشيطانين، ولا يتوقعون شرًّا منهما.

همس «عثمان» لـ «أحمد»: أين بقية الشياطين؟

أجاب «أحمد» هامسًا: صَه، ولا تنطق.

وبلغةِ العيون أكمل «أحمد»: لا بد أنَّهم يُراقبوننا بكاميرات خفية، ومن المؤكد أنهم يعرفون لغتنا العربية، بل وأغلب اللغات العالمية المُتداولة، أمَّا بقية الشياطين فأظن أنهم مأسورون في بقية الأطباق الطائرة.

عثمان: ولكن إلى أين سيأخذوننا؟

أحمد: في الغالب إلى مقرهم داخل كرتنا الأرضية، في نقطةٍ ما بالقطب الشمالي.

عاد «عثمان» يُراقب المخلوقات القصيرة الغريبة، وقال بعينَيْه: إنَّ منظرهم عجيب، ومن المُدهش أننا لم نسمعهم ينطقون أو يتحدثون أبدًا!

أحمد: لعل هناك طريقة أخرى يتفاهمون بها فيما بينهم، مثل التخاطب الفكري، وعن طريق إرسال واستقبال الموجات العقلية بطريقة أشبه بالموجات اللاسلكية، وبذلك يتم التفاهُم بين تلك المخلوقات دون حاجة للنطق.

عثمان: هذا مدهش، يبدو أنهم متقدمون علميًّا عَنَّا كثيرًا!

أحمد: هذا مؤكد، ولا بُدَّ أنَّ مكان قاعدتهم الأرضية في قلب الجليد يُمَثِّل قلعة علمية هائلة.

وغرق «أحمد» في أفكار عديدة، كان أهم سؤال يشغله هو: لماذا قامت تلك المخلوقات الفضائية بأَسْرهم؟ ولماذا لم تتخلَّص منهم بحزمة إشعاعية قاتلة من أسلحتهم الفتاكة؟ فكل حوادث المواجهة بين سكان الأرض وهؤلاء الفضائيِّينَ كانت نتيجتها موتًا ودمارًا لَمَن تعرَّض لهم من سكان الأرض، فلماذا أبقت هذه المخلوقات الغامضة عليهم أحياء حتى تلك اللحظة؟

وكانت الإجابة الوحيدة المُقْنِعَة هي أنَّ هؤلاء الفضائيِّينَ يبغون الحصول من الشياطين على بعض المعلومات الخاصة، ولكن أية معلومات يحتاجها هؤلاء الغرباء، وهم على تلك الدَّرجة العالية من التقدم العلمي؟

ولفت انتباه «أحمد» رسم كبير يُشْبه الجمجمة، ولكنها جمجمة مُفْزِعة مُخِيفة؛ فتجويف العينَينِ واسع عميق، ومكان فتحة الأنف ضخمة، والفم صغير دقيق، والتفت «أحمد» نحو «عثمان» وكان من الواضح أنَّ «عثمان» أيضًا لاحظَ نفس الرسم، وبلغة العيون قال «عثمان»: لا بد أنَّ هذا الرَّسم يُمَثِّل شكلًا لجمجمة هذه المخلوقات، فرءوسها كبيرة مخيفة الشكل.

أحمد: أرجو ألا تكون هذه الجمجمة هي شعارهم أيضًا؛ وإلا لكان معنى ذلك أنهم مخلوقات دموية، مثل القراصنة الذين كانوا يتخذون الجمجمة البشرية والعظام المتقاطعة شعارًا لهم.

وارتجَّ الطبق الطائر قليلًا، ثم أحسَّ الشيطانان كما لو كانا يهبطان بمصعد بسرعة خارقة كادت توقف قلبَيْهما.

والتقط «عثمان» أنفاسه وهو يقول: إننا نهبط، لا بد أننا قد وصلنا إلى محطتنا النهائية.

هتف «أحمد»: «من المؤسف أننا لا نستطيع مشاهدة عملية الهبوط»، وما كاد «أحمد» يتم عبارته التي نطق بها رغمًا عنه حتى انزاح جزء من الجدار المواجه لهما، وظهر خلفه جدار زجاجي شفاف.

وعَبْرَ الجدار الشفاف شاهد الشياطين أعجب مشهد يمكن أن تقع عليه عينُ إنسان.

فمن أسفل كانت قمم جبال الجليد بارزة ناتئة، كأنها رءوسُ عمالقةٍ مُتلاصقة منذ آلاف السنين، وقد انتشر اللون الأبيض إلى نهاية البصر، لون الثلج والجليد اللذين يبعثان بالرَّجفة في بدن الإنسان لمجرد رؤيتهما.

وتوقف هبوط الطبق الطائر على ارتفاع يزيد على الألف متر لأعلى تلك القمم البيضاء الشاهقة، ومن الأمام ظهر الطبقان الطائران الآخَران، وقد أخذت الأطباق الطائرة الثلاثة شكل مثلث، وفي وقت واحد خرجت من الأطباق الطائرة ثلاث حزم من الأشعة، تتجه في نقطة واحدة فوق إحدى قمم جبال الجليد بأسفل، وفي نفس اللحظة بدأت قمة الجبل الجليدي تتشقق وتنفصل عن بعضها، كاشفةً هوةً سحيقة بداخلها.

واندفعت الأطباق الطائرة إلى قلب جبل الجليد لتختفي في جوفه، ثم عاد الجبل الجليدي ينطبق كما كان من قبل، تلاقَتْ أعين «أحمد» و«عثمان» في ذهول ودهشة وتعجُّب لا حدَّ لها، وقال «عثمان» بعينه: هذا مُذهل تمامًا! إنَّ هؤلاء الفضائيِّينَ خارقو القوة، وعلى درجة هائلة من العلم.

أما «أحمد» فقطب حاجبَيهِ، وقال: «أعتقد أننا دخلنا مصيدة يستحيل الخروج منها»، وأخيرًا استقر الطبق الطائر فوق الأرض، وتراجعَتِ القيود البلاستيكية التي كانت تُقيِّد أيدي «أحمد» و«عثمان»، واختفت بداخل ذراع المقعد.

عثمان: لقد وصلنا إلى نهاية الرِّحلة، وأعتقد أننا سنشاهد في هذا المكان ما لم يحلم أي إنسان بمشاهدته.

أحمد: من المهم العثور على بقية الفريق أولًا.

فجأةً، دوى صوت عميق، أجش، معدني النَّبرات، كأنه خارج من فوهة بئر حديدية الجدران عمقها ألف متر، وقال الصوت بلهجة باردة متقطعة: مرحبًا بكم أيها الأرضِيَّان في قاعدتنا الدائمة بكوكبكم الأرضي.

تلفت «أحمد» و«عثمان» حولهما مندهِشَينِ، محاوِلَينِ العثور على مصدر الصوت، ولكنه كان يبدو كما لو كان يأتي من كل مكان، بل من الهواء الذي يُحيط بهما.

صاح «أحمد»: مَن أنتم؟ ولماذا أتيتم كوكبنا وأخفيتم أنفسكم؟ وماذا تريدون منا؟

أجاب الصوت: كل هذه الأسئلة ستعرفون إجابتها في الوقت المناسب، وأنتم هنا في ضيافتنا، وأرجو أن تسلكوا سلوك الضيوف، وإلا فأنتم تعرفون كيف يكون ردنا قاسيًا عندما نغضب.

عثمان: وأين بقِيَّتُنا؟

قال الصوت: سوف تجتمعون معًا بعد دقائق، هيا، فلتتفضلوا إلى الخارج.

تقدَّمَ «أحمد» و«عثمان» نحو باب الطبق الطائر في اللحظة التي تقدَّم فيها نحوهما مخلوقان من المخلوقات البشعة التي أسرتهما، وكانت أيدي المخلوقَينِ فوق مسدساتهما الإشعاعية.

تلاقَتْ نظرات «أحمد» و«عثمان»، وكان عليهما التزام الهدوء التام.

وعاد الصوت الخفي يقول: هذا أفضل كثيرًا.

وبدا كأنه استطاع بطريقة ما قراءة أفكارهما.

سار الشيطانان خارجَينِ من الطبق الطائر، ووجدا نفسَيْهما بداخل ساحة واسعة لا يقل قطرها عن ألف متر، وكان هناك عدد من الأطباق الطائرة يزيد على الخمسة، وقد انهمَكَتْ بعض المخلوقات الغريبة الشكل في صيانة بعضها والكشف عليها.

وعلى مسافةٍ كانت هناك قضبان حديدية تأتي من فوهة بعيدة، وتنطلق إلى مكان ذي إضاءة مُعتمة لا تُبيِّن تفاصيله، وكانت الإضاءة كلها في المكان قليلة شاحبة لا تُفصح عن كثير من التفاصيل.

وألقى «أحمد» نظرة لأعلى، فشاهد السقف مُرْتفعًا لا يقل علوه عن ألف متر، وقد بُطِّنَ بألواح بلاستيكية، كان واضحًا أنها مصنوعة بطريقة تجعلها أشد قسوة من الصلب، وعازلة للحرارة بطريقة مدهشة، كما كان يلمع بين ألواحها شرائط عريضة ذات لون برتقالي لامع، تبدو مُتوهِّجة وذات حرارة كبيرة.

وأحس «أحمد» و«عثمان» بالحرارة الشديدة بسبب ملابسهما الثقيلة التي تم أسرهما بها، فبدءا يخلعانها.

وتقدَّم أحد المخلوقات منهما، وتناول ملابسهما الزَّائدة في صمت، وسأله «عثمان»: هل سننتظر كثيرًا هنا؟

ولكن المخلوق انصرف كأنه لم يسمع شيئًا، وجاء الصوت يقول: لا فائدة من محاولة التَّعامل أو التَّفاهم مع مخلوقات «الكاوكي»، فليس لها القدرة على التفاهم معكم أو الحديث.

أحمد: هذا معناه أن هناك طبقة أرقى في أيديها الأمور بهذا المكان وفوق كوكبكم؟

– هذا صحيح تمامًا؛ ففي كل كوكب هناك السادة، وهناك الخدم، حتى في كوكبكم ... وأقبلت قاطرة صغيرة فوق القضبان الحديدية وتوقَّفَتْ أمام «أحمد» و«عثمان».

– تفضَّلوا ... جاء الصوت العميق البارد يدعوهما للدخول.

وتَقَدَّم «أحمد» و«عثمان» واستقرا بداخل القاطرة الصغيرة التي لا قائد لها، ولا مُحرِّك لها، والتي اندفعت بهما إلى داخل نفق الجليد.

قال «أحمد» (كأنه يختبر شيئًا ما): أعتقد أن هذه القاطرة تسير بالطاقة الكهرومغناطيسية.

ووافقه الصوت المعدني: هذا صحيح تمامًا.

ابتسم «أحمد»؛ فلم يكن بتساؤله يبغي الحصول على إجابة، وإنما ليتأكد من أنَّ ذلك الصوت المَعْدني يستطيعُ مرافقتهم في أي مكان، وهو ما تأكد منه.

وفكَّر «أحمد» ... كان كلُّ ما شاهده الأطباق الطائرة ... الطلقات الإشعاعية ... القاعدة الخفية بداخل جبال الجليد ... الطاقة الكهرومغناطيسية بصورة عملية ... كل هذه أشياء يُمكن أن يصل إليها سكان الأرض في غضون خمسين عامًا أو أكثر بجهود العلماء، وهذا يعني أنَّ هذه المخلوقات الفضائية الغريبة ليست مُتقدمة عنهم كثيرًا.

توقف «أحمد» عن التفكير، وساد صمتٌ ثقيل، ولم يُجبه الصوت البارد المعدني هذه المَرَّة على أفكاره، وابتسم «أحمد» ابتسامة واسعة؛ كان هذا يعني أن تلك المخلوقات غير قادرة على قراءة أفكارهم، وهو ما أراد التأكد منه.

انتهت القَاطِرة من عبور النَّفق المظلم، وتكشَّفَت مساحة أوسع في الأمام، لها نفس نمط هبوط الأطباق الطائرة، غير أن مُسطَّحها كان أقل ارتفاعًا، وهناك بعض المباني القليلة المُتناثرة، وكلها — كما يبدو من شكلها — مصنوعة من لدائن البلاستيك المُقَوَّاة بخيوط الصلب، وكانت درجة الحرارة في ذلك الجزء أعلى من سابقتها، لدرجة جعلت «أحمد» و«عثمان» يشعران بالحرارة والعرق فوق جبهتيهما.

قال «عُثمان» باسمًا: عرق وحرارة شديدة في قلب القطب الشمالي، هذا أمرٌ لم تصل إليه أفلام الخيال العلمي.

توقَّفَتِ القاطرة الصغيرة، ولم يكن الشيطانان بحاجة لَمَن يدعوهما إلى مُغَادرتها فغادراها، وتَقَدَّم مخلوقان من تلك التي دعاها صاحب الصوت المعدني البارد بمخلوقات «الكاوكي»، وكان واضحًا أنَّ هناك أوامر مُسبقة لها باستقبال «أحمد» و«عثمان» وقيادتهما

إلى مكان مُعيَّن، سار المخلوقان في الأمام وخلفهما الشيطانان نحو أحد الأبنية القريبة، وهمس «عثمان» لـ «أحمد»: لأول مرة أشاهد الحراس يسيرون أمام الأسرى، سوف أحاول شيئًا.

توقف «عثمان» وانحنى على الأرض متظاهرًا بربط حذائه الذي لا رباط له، وفي نفس اللحظة استدار المخلوقان وعيونهما تومض ببريق لامع، وقد شَهَّر كلٌّ منهما مسدسه الإشعاعي؛ فرفع «عثمان» يدَيْه هاتفًا: لا تُطْلقا مُسدسيكما، لقد كنت أربط حذائي.

جاء الصوت البارد المعدني يقول: في المرة القادمة سيكون ثمن أية حيلة هو نهاية حياة أيٍّ منكما، ليس لحذائك رباط لكي تتظاهر بربطه، إنَّ الأوامر المعطاة لدى «الكاوكي» هي قتلكم عند أية محاولة منكم للهرب أو المقاومة.

عاد «عثمان» يمشي صامتًا مع «أحمد» ... وبدهشة سأله «أحمد» بلغة العيون: إنني لم أفهم سر ما فعلت! كان يمكن أن تصيبك طلقة إشعاعية.

أجابه «عثمان»: لقد أردتُ أن أتأكد إن كانت هذه المخلوقات من نوع «الكاوكي» قادرة على رؤيتنا حتى بظهورها، وهو ما تأكدتُ منه، من المؤكد أنه لديها أجهزة خاصة للرؤية من الخلف غير عيونها، وهو ما يجعلها تسير أمامنا بلا خوف.

قَطَّبَ «أحمد» حاجبيه في صمت، كان أهم ما يشغله في تلك اللحظة هو العثور على بقية الشياطين، ووقتها فقط يمكن لعقله أن يفكر في كيفية الخروج من ذلك المأزق الرَّهيب، وتلك المصيدة الثلجية.

مَرَّةً أخرى ظهر رسم كبير لتلك الجمجمة البشعةِ الشكل على جدار أحد الأبنية البعيدة، فتلاقَتْ أعين «عثمان» و«أحمد»، وتوقَّفَ المخلوقان أمام أحد الأبنية المنخفضة، وكان هناك حارسان آخَران من نفس المخلوقات، تسلَّما «أحمد» و«عثمان» وقاداهما في ردهة صغيرة، وانتهيا أمام بابٍ من لدائن البلاستيك المُصَفَّحة، وأدارا مفتاحًا في قفله وفتحا بابه، ثم دفعا بالشياطين إلى داخله، وعاودا إغلاق الباب.

وبالداخل، كانت الزنزانة تحتوي على باقي الشياطين: «إلهام» و«ريما» و«مصباح» و«فهد».

مفاجآت مذهلة!

كانت فرحة الشياطين الستة بالتلاقي أخيرًا غامرة، وارتسمت الابتسامات والضحكات على وجوههم لأوَّل مرة منذ بدءوا الأحداث الأخيرة.

تساءل «أحمد»: أين كنتم؟ كنا نظن أنكم في بقية الأطباق الطائرة التي أسرتنا.

أجابت «إلهام»: لا، لقد تم اختطافنا قبلكما بأحد الأطباق الطائرة الأخرى، ولم يتسع الوقت لنا لنحذركما.

فهد: وما العمل الآن؟

وبلغة العيون والإشارات بدأ الشياطين يتفاهمون، واتفقوا على رواية واحدة بأنهم من علماء الأرصاد الجوية الذين أتوا لدراسة تأثير اتساع ثقب طبقة الأوزون على انصهار الجبال الجليدية بالقطب الشمالي، واتفقوا أيضًا على أن أفضل ما يفعلونه هو الانتظار والترقُّب، وتساءلَ «مصباح»: كان المطلوب منا هو الانتظار، فإلى متى سننتظر؟

ريما: ماذا تقصد يا «مصباح»؟

مصباح: أعني ألا يمكن لهذه المخلوقات أن تتخلص منا في أية لحظة؟

أحمد: لا أظن ذلك، وإلا لفعلوها منذ وقتٍ بدلًا من أسرنا، ولا بدَّ أنهم يريدون منَّا شيئًا ما؛ ولذلك قاموا بأسرنا بدلًا من محاولة التخلص منا؛ من المؤكد أنهم يريدون الحصول على بعض المعلومات منا.

تقلصت قبضة «عثمان» وقال بعينَيْه: إذا حاولوا الحصول على أية معلومات رغمًا عني سوف أنتقم منهم.

أحمد: لا أظُنَّ أنهم يلجئون للعنف في مثل هذه الأشياء، لا بد أن لديهم أجهزة يمكنها قراءة ما يدور في عقولنا بتوصيلها بنا، وكذلك يمكنها قراءة كل ما هو مُسَجَّل ومطبوع في خلايا عقولنا.

إلهام: هذا مذهل! إن هذا معناه نهايتنا المؤكدة إذا افتُضِحَ أمرنا، وكذلك نهاية مُنظَّمة الشياطين الـ «١٣».

ريما: دعونا ننتظر ولا نسبق الأحداث.

أحمد: إن ما يدهشني هو سلوك هذه المخلوقات، تُرى لماذا قاموا بسرقة القنابل الذرية وشحنات الراديوم والذهب، وكذلك اختطاف عالم الذرة الهندي؟

لم يردَّ أحدٌ على الفور، وقالت «إلهام» بعد لحظة تفكير: إنَّ لديَّ نظرية خاصَّة قد تحتمل الصواب والخطأ، فلعل تلك القنابل الذرية المسروقة يستخدمونها في الحصول على الطاقة اللازمة في هذا المكان.

أحمد: هذا مستحيلٌ عمليًّا؛ لأنه بانفجار القنابل الذرية لا يمكن التحكم بطاقتها، ولكن قد يكون صحيحًا لو أنهم استخدموا الراديوم المسروق في الانشطار النووي للحصول على الطاقة التي تُدير هذا المكان ... الكهرباء، وأيضًا الماء، والذهب المسروق من البنك السويسري.

تساءل «مصباح»: وماذا يُمثِّل الذَّهب لديهم لدرجةٍ تدعوهم إلى سرقته؟

أجابت «إلهام»: مَن يدري؟! إن قيمة الذهب لدينا قيمة مادية، ولكنه قد يعني شيئًا آخَر لديهم، باعتباره مَعْدنًا نفيسًا يصلح لبعض بحارتهم أو لصناعة شيء خاص.

ريما: ولكن إذا كان هذا صحيحًا؛ فقد كان بإمكان هذه المخلوقات الحصول على مصادر للطاقة والذهب من كوكبهم بلا مشاكل، فلماذا لجئوا للحصول عليها من الأرض؟

أحمد: هذا سؤال جيد، وأعتقد أن الإجابة تكمن في افتراض وحيد، وهو استحالة عودة هذه المخلوقات إلى كوكبها لسبب ما؛ كأن تكون سفينة الفضاء التي تنقلهم إلى كوكبهم قد تعطَّلَت مثلًا، واستحالت عودتهم لكوكبهم؛ فاضطُرُّوا للحصول على ما يُريدونه من الأرض، بالرَّغم مما في ذلك من كشف لوجودهم فوق كوكبنا، وتعريضهم لبعض الخطر.

قالت «إلهام» مُفكِّرةً: هذا احتمال أقرب إلى الصواب.

عثمان: ولكن لماذا اختطفوا عالم الذرة الهندي؟

ريما: ربما ليُشرف على عمليات الانقسام الذري للراديوم للحصول على الطاقة.

مصباح: هذه كلها افتراضات سابقة لأوانها، وأعتقد أننا سوف نكتشف الحقيقة خلال وقت قصير.

إلهام: ما يُدهشني هو تلك الأغنية التي كان يُردِّدها أطفال «الإسكيمو» عن عودة أجدادهم، ولا بُدَّ أنهم يقصدون هذه المخلوقات التي أَسَرَتْنا، ولكن مَن الذي قام بتلقين هذه الأغنية للأطفال؟

أحمد: لا تنسي يا «إلهام» أنَّ هذه المخلوقات كانت تُلقي إلى سكان «الإسكيمو» بالهدايا، والأطعمة، والملابس، من أطباقها الطائرة، ربما يكون ذلك هو مصدر تلك الأغنية.

عثمان: كيف يفعلون ذلك؟ وفي نفس الوقت يقتلون أي شخص يحاول تتبعهم ومعرفة مكانهم، إن الأمور تبدو غامضة ومختلطة.

هزَّ «أحمد» رأسه مؤيدًا: بالفعل، إن هناك بعض النقاط الغامضة، ولا تفسير لها حتى الآن. وكان الشياطين يتفاهمون ويتبادلون حديثهم بلغة العيون والإشارات؛ لإحساسهم أنَّ هناك عيونًا خفية تُراقبهم، وآذانًا حادة تلتقط كلماتهم.

ومَرَّت لحظات من الصمت الثقيل، ثم قالت «ريما»: إنني أشعر بجوع شديد.

عثمان: وأنا أيضًا جائع، ولم آكل منذ ساعات طويلة.

وجاء الصوت المعدني البارد في الحال يسأل: ما الطعام الذي تُفضِّلونه؟ إنَّ لدينا هنا كل ما يتمناه الإنسان من طعام.

قال «عثمان» ساخرًا: ما رأيك في الجمبري المشوي، وشرائح الفيليه، ومعها عصير الأناناس، وبعض الأرز، والسَّلَطة الخضراء، وشرائح البطيخ المثلج؟

ضحكَتْ «إلهام» قائلة: إن لك شهية واسعة يا «عثمان»، هل تظن أنك ستجد هنا مثل هذه الأشياء؟

عثمان: وما الذي نملكه هنا غير التمني! إن أصحاب هذا الصوت الغبي يسألنا عما نريده من طعام كأننا نقيم في فندق فاخر.

– لا أحب مَن يدعوني بالغبي.

جاء الصوت أكثر برودة وحدة، كأنه صليل معدني قاسٍ، مليء بالوعيد والتهديد، وأكمل الصوت كأنه قادم من جوف بئر: إننا لا نقول ما لا نعنيه أبدًا، سوف تحصلون على كل ما أردتموه حالًا.

صاح «عثمان» غاضبًا: لماذا لا تظهر لنا أنت وبقية قومك؟

لم يُجاوِبْه الصوت هذه المرة.

عاد «عثمان» لصياحه الغاضب: ماذا تريدون منا؟ نحن لا نريد طعامكم فدعونا وشأننا، وارحلوا عن كوكبنا.

ومرةً أخرى لم يُجاوِبْه الصوت العميق، الأجش، البارد.

قال «أحمد» لـ «عثمان»: لا داعيَ للغضب يا «عثمان»، لن تغير كلماتك شيئًا من الوضع هنا.

وقبل أن تمر عشر دقائق انفتح باب الزنزانة الواسعة، وتقدَّم أحد المخلوقات الخضراء بلوحة معدنية مربعة، وَضَعَها في منتصف الزنزانة، ضغط على جزء بارز منها، وفي الحال برزَتْ منها أجزاء أخرى من كل جانب، فتحوَّلَتْ إلى منضدة عريضة، تستند على وسادة هوائية برزَتْ من أسفل، وخرج من جوانبها ستة مقاعد هوائية متصلة بها.

ترامق الشياطين الستة في صمت ممزوج بالعجب، وأقبل مخلوق آخَر، ووضع عددًا كبيرًا من الأطباق والشوك والسكاكين البلاستيكية الطرية فوق المنضدة، وتأمَّل «عثمان» إحداها بغيظ، وقالت عيناه: من المؤسف أنها لا تصلح كسلاح.

وأخيرًا أقبل الطعام يحمله مخلوقان من «الكاوكي» فوق صينية عريضة ... جمبري، وشرائح البفتيك، والأرز، والسَّلَطة الخضراء، وشرائح البطيخ المثلج، وعصير الأناناس.

اتسعت عينا «عثمان» ذهولًا؛ وابتسم «أحمد» قائلًا: إن هذا يُعطينا نقطة لصالحنا؛ فهذه المخلوقات تعني ما تقوله تمامًا، إن الحياة هنا ليست بمثل هذا السوء الذي ظننا في البداية.

عثمان: ولكن من أين أتوا بمثل هذه الأشياء؟ وكيف قاموا بتجهيزها بمثل هذه السرعة؟

أجابه «أحمد»: إن الأسئلة الكثيرة تُفسد الشهية.

جلس فوق أقرب المقاعد الهوائية إلى المائدة، ولم يكن بقية الشياطين بحاجة لَمن يدعوهم لتناول الطعام؛ بسبب جوعهم الشديد.

وكان الطعام لذيذًا، وكان أكثر الشياطين جوعًا هو «عثمان»، ولكنه برغم ذلك كان أقلهم رغبة في الطعام، وبعد أن تناول لُقْماتٍ صغيرة، غادر مقعده، وتمدَّد فوق الفراش الصغير بركن الحجرة، ورفع بصره إلى سقف الزنزانة.

لم تكن هناك أية عدسات ... أو كاميرات خفية ... بل كان سقف الزنزانة مصقولًا لامعًا، كأنَّه سطح شاشة تليفزيونية، وابتسم «عثمان»، من المؤكَّد أنَّ سقف الزنزانة كان عبارة عن خلايا خاصة أشبه بالمرآة التي تلتقط كل إشارة أو صوت أو حركة لهم؛ لتنقلها إلى مكان آخَر، حيث يقبع صاحب ذلك الصوت الذي كرهه «عثمان» منذ اللحظة الأولى التي سمعه فيها، واستقر رأيه على شيء.

انتهى الشياطين من طعامهم، وكانت هناك مناديل مُعطَّرة مسحوا فيها أيديهم، وما كادوا يُغادرون مقاعدهم حتى انفتح باب الزنزانة، وظهرَتْ ثلاثةٌ من مخلوقات «الكاوكي» وهي تتقدم نحو المائدة، وبدأت تحمل الأطباق وبقايا الطَّعام، وتستدير خارجة بها.

وكانت هذه هي اللحظة التي ينتظرها «عثمان».

وبقفزة واحدة من مكانه صار في منتصف الحجرة، وهو يحمل فراشه المصنوع من لدائن البلاستيك القوية، وقبل أن يفطن أحد الشياطين لما سيفعله «عثمان»، انهال الشيطان الأسمر بالفراش القوي فوق رأس أقرب المخلوقات الفضائية إليه، في اللحظة التي انتبه فيها المخلوق الفضائي، واستدار فيها ليواجه «عثمان».

ولكن حركة «عثمان» كانت أسرع، وقبل أن تمتد يد المخلوق الفضائي إلى مسدسه الإشعاعي سقط الفراش فوق رأسه بقوة.

وترنَّح المخلوق الفضائي بشدة، واندفعت قبضة «عثمان» كطلقة المدفع نحو وجه المخلوق الفضائي، وما كادت أصابع «عثمان» تلمس وجه المخلوق حتى أحسَّ كأنه اصطدم بجدار من الصلب، وسرى ألم شديد في قبضته، في اللحظة التي تهاوت فيها المخلوقات الفضائية فوق الأرض.

وعلى الفور امتدت يد المخلوق الفضائي الثاني نحو مسدسه، وقبل أن يتمكن أحد من إيقافه أطلق مسدسه الإشعاعي نحو «عثمان».

وتوقع «عثمان» ما سيفعله المخلوق الفضائي؛ فألقى بنفسه على الأرض، وصوَّب المخلوق مسدسه مرة أخرى نحو «عثمان» الذي اصطدمت قدمه بشدة بالمخلوق الأول، فأحسَّ بألم شديد فيها، ولم يقدر على الحركة، وهو يشاهد المسدس الإشعاعي مُصوَّبًا إليه.

وتدخَّلَتْ «إلهام» في اللحظة المناسبة، وبضربة من قدمها أطاحت بالمسدس من يد المخلوق الفضائي، وبضربة أخرى منها أطاحت به إلى الخلف مصطدمًا بالجدار، في نفس الوقت الذي أحسَّتْ فيه «إلهام» بألم شديد في قدمها كأنها صدمت جدارًا من الصلب.

وصاح «أحمد» في «عثمان»: لماذا تهوَّرْتَ يا «عثمان»؟ سوف ندخل معركة غير متكافئة، وما كاد «أحمد» يُكمل عبارته حتى اندفع مخلوقان فضائيان آخَران شاهرَينِ مسدسَيْهما، ولم يكن أمام الشياطين غير عمل واحد، كان عليهم الدفاع عن أنفسهم ما داموا قد صاروا في قلب المعركة، وكان وجودهم بداخل الزنزانة أشبه بالفئران في المصيدة.

وبلا تفكير التقط «أحمد» المسدس الإشعاعي لأحد المخلوقِينَ المصابِينَ على الأرض، وصوَّبه نحو أقرب مهاجِميه وأطلقه.

واندفعت حزمة من الإشعاع الأصفر اللامع كالذهب لتُصيب المخلوق الفضائي في رأسه، وما كادت الطلقة الإشعاعية تلمس رأس المخلوق حتى دَوَّى صوتٌ يُشبه صوت الانفجار، وانبعث شرر معدني هائل، وتحوَّلَت الرأس إلى كتلة متفحِّمة، انصهرَتْ مثل

شمعة تحترق في جهنم، وتهاوى المخلوق الفضائي على الأرض بلا حراك، ومرة أخرى أطلق «أحمد» مسدسه الإشعاعي على المهاجم الثاني؛ فأصابه في صدره، فتهاوى المخلوق الفضائي البشع على الأرض، وقد ظهر تجويف عميق مكان الطلقة، كأن مكانها قطعة من الثلج تبخَّرَتْ في لحظة.

وقبل أن يفكر بقية الشياطين في اللحظة التالية، انغلق باب الزنزانة وحده في عنف؛ ليصد عنهم أي هجوم قادم، وجاء الصوت البارد غاضبًا يقول: لقد تصرفتم بحماقة شديدة، ستدفعون ثمنها.

مال «أحمد» على «إلهام» يسألها في قلق: هل أصابك شيء؟

قالت «إلهام» مُتألمة: «هذه المخلوقات القبيحة عندما ضربتُها أحسست كأنني ...» ولم تكمل «إلهام» عبارتها؛ فقد وقع بصرها على المخلوق الذي أصابته طلقة «أحمد» في رأسه فمحتها. وشاهدَتْ «إلهام» مكان الرَّأس في نهاية العنق أسلاكًا كهربائية دقيقة، وموصلات ومحولات صغيرة محترقة.

وصاح «عثمان»: إنها مخلوقات آلية.

تلاقت نظرات «أحمد» و«إلهام» في نظرة ذاهلة غير مصدقة.

حقيقة الأطباق الطائرة!

هزت «إلهام» رأسها في ذهول وهي تقول: إنني لا أفهم ... كيف يمكن أن يكون هذا المخلوق مجرد إنسان آلي؟

وَمَضَتْ عينا «فهد» وهو يقول: إن هذا يعني أشياء كثيرة.

تساءلت «ريما»: هل يمكن أن يكون صاحب ذلك الصوت آليًّا هو الآخر؟

ضاقت عينا «أحمد» وأجاب: لا أظن، يبدو أنَّ الأمر له وجه آخَر.

عثمان: ماذا تقصد يا «أحمد»؟

وقبل أن يُجيب «أحمد» جاء الصوتُ البارد العميق يقول: يبدو أن الأمور تطوَّرَتْ في غير ما نرغب باكتشافكم الجديد.

صاح «مصباح» في الصوت: لقد خدعتنا، ليس هناك شيء اسمه مخلوقات «الكاوكي»، مَن أنتم؟ وما هي حقيقتكم؟

أجاب الصوت: من رأيي عقد اتفاق خاص لم ينعم به أحد من قبل، إنَّ كلَّ مَن خطَّتْ قدماه هذا المكان كان مصيره النهائي هو الموت، أمَّا أنا فأعرض عليكم الحياة.

تساءل «فهد»: والثمن؟ لا بد أن هناك ثمنًا تطلبه.

الصوت: من الأفضل أن يكون حوارنا بصورة هادئة، تستطيعون اختيار واحد منكم ليمثلكم أمامي.

أحمد: إنني مستعد لذلك تمامًا.

الصوت: هذا حسن، سوف يدخل الآليون لتنظيف المكان من بقايا المعركة، وأرجو أن تكونوا هادِئِينَ هذه المرة، وإلا فلن يكون هناك مجال لاتفاقنا.

تشاور الشياطين هذه المرة بعيونهم، كانوا قد حقَّقوا حتى هذه اللحظة نصرًا صغيرًا.

ولكنهم لم ينسوا حقيقة وضعهم السيئ داخل قلعة عملية أشبه بالسجن في جبال الجليد بالقطب الشمالي، وهم يجهلون تمامًا مَن يسيطر عليها؟ ولا ما هو هدفه؟

وانفتح الباب بعد لحظات، وأقبل بعض الآليِّينَ، حملوا زملاءهم المصابِينَ، وأخيرًا تقدَّم أحدهم نحو «أحمد» وهو يُشير إليه أن يتبعه.

وتحرك «أحمد» خارجًا من الحجرة، وصوت «إلهام» يتبعه قائلًا: حاذِرْ يا «أحمد».

أحمد: لا تخشي شيئًا.

وسار «أحمد» خلف الآلي فقاده إلى ردهة طويلة، ثم غادر المبنى، وسارا قليلًا جهة اليسار، وعلى بُعد مسافة بسيطة ظهر بعض الآليِّينَ يقفون أمام نقطة حراسة، وهم يفتِّشُون الآليِّينَ الآخَرِينَ الذين يَعْبرون نقطة الحراسة؛ مما دفع «أحمد» بأن يُفكر أنَّ خلف ذلك المكان تقع منطقة هامة.

ثم قاد الرَّجل الآلي «أحمد» إلى قاعة واسعة فاخرة الأثاث كأنها قاعة أحد القصور.

وجاء الصوت يقول: تفضل بالجلوس.

أحمد: لا أظن أننا سنظل نتعامل من وراء ستار ما دمنا قد قررنا الاتفاق.

الصوت: ماذا تقصد؟

أحمد: لا بد أن تظهر وأراك، هذا هو شرطي للاتفاق.

الصوت: ليس لك أن تضع الشروط، أنت هنا الجانب الأضعف.

رد «أحمد»: لو كان ذلك صحيحًا ما سعَيْتَ أنت إلى الاتفاق معنا، إنك بحاجة مُلِحَّة إلينا، وإلا لكنتَ قد تخلَّصْتَ منا منذ وقت.

ومضت لحظةُ صمتٍ، وقال الصوت: إنك تبدو واثقًا من نفسك.

بهدوء أجابه «أحمد»: لن نخسر أكثر مما خسرنا، إنك تريد شيئًا خاصًّا منا، ما هو؟

الصوت: إن هناك سؤالًا أود طرحه عليكم أولًا؛ لأن إجابته تهمني جدًّا، خاصة بعد تلك المعركة التي جَرَتْ بينكم وبين رجالي الآليِّينَ، تُرى ما هو مدى معلوماتكم واستنتاجاتكم عنا؟

تلاعبت ابتسامة على شفتي «أحمد» وقال: وإذا رفضت الإجابة أنا وزملائي؟

جاء الصوت البارد عميقًا مخيفًا يقول: في هذه الحالة فلن يكون أمامي غير خيار واحد، أن أمحوكم من الوجود.

ولَمَعَتْ عينا «أحمد» ببريق الانتصار؛ كانت هذه هي الإجابة الوحيدة التي يتمناها من صاحب الصوت الخفي، والتي كانت تعني شيئًا هامًّا … وهو أن هذه المخلوقات

التي يتعامل معها لا تملك من الأجهزة ما تقرأ به عقولهم وذاكرتهم، وإلا لاستخدمتها في الحصول على إجابة أسئلتهم بدون التهديد بالقتل، وكان هناك استنتاج أهم قد توصل إليه عقل «أحمد» في نفس اللحظة … أهم استنتاج على الإطلاق، وهو يكشف الكثير من أسرار ما يدور حوله.

وبهدوء قال «أحمد»: لم يعُد الأمر يحتمل مزيدًا من الغموض، إن اللعبة بارعة حقًّا، والتمويه فيها رائع، وكل تلك الأشياء توحي بشيء خيالي، ولكن الحقيقة ظاهرة وواضحة، بالرغم من كل شيء.

في ريبة وشيء من الشك سأله الصوت: أي حقيقة تقصد؟

أحمد: حقيقتكم، حقيقة الأطباق الطائرة، والمخلوقات الفضائية، كان تمويهًا رائعًا، وأشهد لكم بالبراعة، ولكن من المؤكد أننا نتعامل مع مجموعة من البشر، سكان أرضنا، وليس مع مخلوقات فضائية أو أي شيء آخَر.

وسادت لحظةٌ طويلة من الصمت المتوتِّر، وأحسَّ «أحمد» بثقة متزايدة، وتلاعبت على شفتَيْه ابتسامة ساخرة، وهو يتخيل صاحب الصوت وقد أصابته صدمة غير متوقعة، وأخيرًا جاء الصوت وصاحبه يبذل أقصى مجهود للتحكم في نبراته، وتساءل: وكيف أمكنك استنتاج ذلك؟

قال «أحمد» بثقة: لا أنكر أن الاستنتاج جاء متأخرًا بسبب ما أحطتم به عملكم من غموض وخيال، خدعتم به حتى الدول العظمى … لقد بدأ شكي عندما ظهر أن مخلوقاتكم ليست سوى ماكينات آلية … وتلك الرواية الكاذبة عن مخلوقات «الكاوكي» والمخلوقات الأخرى ذات السيادة فوق كوكبكم … لا بد أن مَن فكَّر في تلك الأشياء صاحب خيال خصب، ومُغرَم بأفلام الخيال العلمي، أيضًا فذلك الطعام الطازج والمتنوع الذي أحضرتموه لنا بسرعة إنه يكشف جانبًا آخَر من الحقيقة لَمن ينظر إليه على الوجهة الصحيحة، فما دُمتم مُجرَّد مخلوقات فضائية من كوكب آخَر، فلا بد أن يكون لكم نوع آخَر من الطعام، وحيث إنه من المفترض أنه لا يوجد بشر في هذا المكان، ولذلك كان من الطبيعي ألا يكون هنا طعام أرضي أيضًا، أما وجود كل أصناف الطعام وبتلك الوفرة، فهذا يعني أن هناك الكثير من البشر يعيشون في هذا المكان، وهم أصحابه والمسيطرون عليه، وبالتالي تنهدم نظرية أن صاحب هذا المكان والأطباق الطائرة هم مخلوقات جاءت من كوكب آخَر لسبب مجهول.

الصوت: رائع … تحليل واستنتاج منطقي، وماذا أيضًا؟

أحمد: لا بد أنكم استغللتم تلك القصة عن المخلوقات الفضائية التي نقلت سكان «الإسكيمو» من الجنوب للشمال، ومن هنا كان اختياركم للقطب الشمالي للاختفاء، ولإحياء

تلك الحكايات القديمة، والتي لا بد وأن الكثيرين سيُصدِّقُون أنكم من سلالة هؤلاء الأجداد الذين نقلوا سكان «الإسكيمو» لمكانهم الحالي، ومن ثَمَّ تترسخ في الأذهان أسطورة أنكم مخلوقات فضائية، ولزيادة التأكيد ذهبتم تُلْقون إلى سكان «الإسكيمو» بالهدايا والطعام والملابس، تأكيدًا لذلك، ومن هنا بدأ الأطفال يتغنون بعودة الأجداد من المخلوقات الفضائية، أمَّا مَن حاول اكتشاف حقيقتكم وشكَّ فيكم فكان مصيره الموت.

صمتَ «أحمد»، فقال الصوت: إنني أُعجَبُ كلَّ لحظة بذكائك.

أحمد: وستُعجَبُ أكثر عندما تعرف بقية ما عندي، لقد قمتم — كبدايةٍ — بالتحرُّش ببعض الطائرات الأمريكية والروسية والإنجليزية، وإسقاطها بفضل أسلحتكم الإشعاعية المتطورة، وكنتم تهدفون من ذلك ألا تعترضكم هذه القوات بعد ذلك في حالة ظهوركم، وهو ما حدث بالفعل، وبعدها قمتم بسرقة القنابل النووية الفرنسية، وأعتقد أنكم كنتم تريدونها لتهديد سكان الأرض فيما بعد، عندما تحين اللحظة المناسبة، أما اختطاف الراديوم المُخصَّب، والعالِم النووي الهندي، فكان من أجل مفاعلكم النووي، فلا بد أن هذا المكان يحتوي على مفاعل نووي كبير تحصلون بواسطته على الطاقة التي تقوم بتشغيل الآلات والأطباق الطائرة، والآليِّينَ، وأيضًا الطاقة التي تتمكنون بواسطتها من تدفئة هذا المكان الجليدي، والعيش في قلب جبال الجليد، ولا بد أنكم تملكون إمكانيات علمية رائعة مكَّنتكم من إقامة هذه القلعة العلمية في قلب الجليد، حتى لا يستطيع أي إنسان الوصول إليكم، أمَّا التكاليف، فبرغم أنَّها باهظة فمن السهل الحصول عليها كما فعلتم عندما سرقتم الذهب من البنك السويسري.

ساد الصمت طويلًا بعد كلمات «أحمد»، ووضح أن صاحب الصوت لم يكن يتوقع كل تلك المعلومات والاستنتاجات، التي أدلى بها «أحمد»، وكان هذا ما قصده «أحمد» بسبب الاستنتاجات الصحيحة التي أخبر بها صاحب الصوت، أن يدفعه للاضطراب والارتباك، فلا شك أن ذلك سيكون في صالح الشياطين.

وبصوتٍ متجهم قارص البرودة جاء الصوت يقول: هل لديك شيء آخَر؟

بهدوء أجاب «أحمد»: إن الباقي الذي أعرفه أحتفظ به لنفسي.

قال الصوت: أنت على حق في كل ما ذكرته، ليس هناك شيء خاطئ فيما قلت؛ لقد أنفقنا سنوات طويلة في إقامة هذا المكان بقلب جبال الجليد لهدف خاص، وكان لدينا من الإمكانيات العلمية ما يؤهلنا لذلك، وها قد اكتمل عملنا وحان أوان قطف الثمار، سوف يكون العالم كله خاضعًا تحت أقدامنا يومًا ما، ولكن تلك اللحظة لم تَحِنْ بعدُ، وسوف

يأتي أوانها قريبًا، ومن أجل ذلك كان الإبقاء على حياتكم إلى هذه اللحظة بالرغم من كل ما تعرفونه عنا.

أحمد: سوف تكون مُخْطئًا إذا تخيَّلْتَ للحظةٍ أننا سنمد إليكم يد المساعدة في عملكم.

الصوت: إذا لم تفعلوا بإرادتكم فستفعلون ما نريد رغمًا عنكم، وفي النهاية سوف نحصل على أهدافنا كلها، إن أحلامنا واسعة ولا نهاية لها، وقد قُمنا بتحقيق نصفها، والنصف الآخَر يبدأ منكم أنتم، لقد انتظرنا طويلًا أن تحاول أية جهة من العالم اكتشاف موقعنا وحقيقتنا، ولذلك كنا نعرف مهمتكم منذ بدايتها، ومنذ أول لحظة لوصولكم أرض «الإسكيمو» وأنتم تحت رقابتنا، وقُمنا باختبار شجاعتكم؛ فأحرقنا كلاب الهسكي، ولكنكم لم تتراجعوا بل واصلتم تقدُّمكم، لقد كنا نقوم بمثل هذا الاختبار على الكثيرين ممَّن حاولوا مطاردتنا واكتشاف حقيقتنا، فكانوا يسرعون بالهرب عند أول مواجهة، وتكون نتيجة هروبهم هو حكمهم على أنفسهم بالموت، أما أنتم فلم تهربوا، وهذا يدل على شجاعة فائقة، وهذا ما نحتاجه تمامًا، أفراد لديهم شجاعة فائقة، ولا يهابون أي خطر، ومن هنا كان إبقاؤنا على حياتكم، خاصةً وأنَّ لدينا بعض المعلومات عنكم، وعن نشاطكم ومُنظَّمتكم الرائعة، والمغامرات الهائلة التي خضتموها، والعصابات والمُنظَّمات التي محوتموها من الوجود.

أحمد: ما دمنا قد كشفَ كلٌّ منا أوراقه للآخَر، فلماذا نظل نتواجه من وراء جدار؟ ما الذي تخشونه من إظهار أنفسكم؟

الصوت: إنك على حق بالفعل، لم يَعُدْ هناك ما يخشى أحد الطرفَينِ من إخفائه، سوف أكشف عن مفاجأتي الأخيرة.

وساد الصمت بعد كلمات صاحب الصوت ... وسمع «أحمد» صوت خطوات تقترب من بعيد، وضاقت عينا «أحمد» وهو يتساءل بما يعنيه ذلك الرجل الخفي بمفاجأته الأخيرة، وتوقفت الخطوات على مسافة قريبة، وتحرَّك جدار صغير على يسار «أحمد» فكشف عما وراءه، واتسعت عينا «أحمد» بدهشة لا حد لها، عندما وقعَتْ عيناه على «نانو» الذي ارتسمَتْ فوق شفتَيهِ ابتسامة واسعة!

«نانو» ... والانتقام الرهيب!

لم يستطع «أحمد» تمالُك دهشته الطاغية، وهتف: أنت ... «نانو» ... هذا مستحيل!

توقف «نانو» أمام «أحمد»، وقال: ولماذا؟ لا مستحيل فوق هذه الأرض، هكذا يقول أهل «الإسكيمو».

أحمد: ولكن؟

نانو: أعرف سبب دهشتك، كيف يمكن لمجرد مواطن عادي من سكان تلك الأصقاع الشمالية في أقصى قمة الكرة الأرضية ... ذلك العالم المنسي الفريد، كيف يمكنه أن يحكم تلك القلعة الجبارة؟ ولكن لا تندهش؛ فكل شيء جائز في هذا العالم.

ووقف الاثنان يحدقان في بعضهما بعيون لا ترمش، ورويدًا، رويدًا بدأ «أحمد» يُفيقُ من هول المفاجأة، ما أكثر المفاجآت التي قابلته هو وبقية الشياطين في ذلك المكان العجيب! وأشار «نانو» لـ «أحمد» بالجلوس، ثم جلس أمامه وقال: كنت أظن أن آخِر مرة سأراكم فيها هي المرة التي تركتكم فيها فوق الجليد بعد العاصفة، ولكنكم أَثْبَتُّمْ شجاعة فائقة، مِمَّا استدعى التقاطكم وسط ذلك التيه.

أحمد: ولماذا كان اختفاؤك، وتركُ فردة حذائك، وبقعة الرماد، والتظاهر بأنَّ الأطباق الطائرة قتلتك بأشعتها المميتة؟

ابتسم «نانو» وقال: إنني مُولَع بالمفاجآت الدرامية، وبالإضافة إلى أنه كانت هناك بعض الأمور العاجلة التي استدعَتْ عودتي إلى هنا في الحال، ولم يكن أمامي غير تلك الحيلة أمامكم لتبرير اختفائي المفاجئ.

قال «أحمد» بجمود: من المؤسف أن البعض منا ساوَرَتْه المشاعر الحزينة لأجلك!

نانو: دَعْكم من المشاعر المُرهَفة؛ فإنها تفسد عمل القلوب الباردة.

أحمد: إذن، فمنذ بداية رحلتنا وأنت على علم بهدفنا النهائي؟

نانو: هذا صحيح، بل إنني سعيتُ لأكون مرشدكم في هذه الرحلة، ولا بد أنك تتساءل عن علاقتي بهذا الأمر كله، وفي الحقيقة فإنه كان عليكم منذ البداية أن تتوقعوا وجود شخص ما من تلك البلاد الباردة له علاقة بتلك الأطباق الطائرة، وكل ما يجرى منها.

أحمد: لقد عشتَ عمرك كله هنا، ولا أظن أنك خبير بمثل هذه الأشياء.

نانو: هذا صحيح؛ فهذا المكان يُشْرِف عليه علماء على درجة عالية من المهارة العلمية، علماء لم يلاقوا التكريم والاعتراف الكافي في بلادهم، بسبب أفكارهم التي قيل لهم عنها أنها أفكار جهنمية، ومن هنا كانوا على استعداد للانتماء لأي شخص يمدُّ لهم يده لتحقيق هذه الأفكار، والإيمان بعبقريتهم الفذة.

أحمد: وأنت كنت هذا الشخص؟

نانو: منذ مئات الأعوام وشعبنا يحس أنه سيد هذا العالم، يحس أنه الشعب الأكثر احتمالًا وقدرة؛ لأنه صارع الطبيعة وغزاها وتغلَّبَ عليها، وعاش شعبنا سيدًا على أرضه، إلى أن جاء الرجل الأبيض بطائراته وأسلحته ومحطات أرصاده، واحتل أرضنا، وأخذ ينهب ثرواتها ويستخرج بترولها، ويجعلنا من الدرجة الثانية في بلادنا، ومن هنا كان لا بد أن نستعيد سيادتنا بأي شكل من الأشكال فوق هذه الأرض، وكان مستحيلًا طرد الرجل الأبيض المستعمر الذي تدعمه حكومات عديدة ذات أسلحة وجيوش هائلة القوة.

أحمد: ومن هنا كانت فكرة الأطباق الطائرة.

نانو: كانت فكرة عبقرية؛ فهذه الأطباق ليسَتْ أكثر من طائرات هليوكبتر عمودية مُطوَّرة، ذات سرعة هائلة، ولها القدرة على المناورة، والصعود والهبوط، والانقضاض بصورة رائعة، وكان قد اخترعها عالِم روسي، ولكن حكومته لم تكن مستعدة لتنفيذها، وكذلك الطلقات الإشعاعية المُدمرة ليست أكثر من أشعة سينية مُطوَّرة، قام بعض العلماء الأمريكان بتطويعها للاستخدامات الحربية في برنامج حرب الكواكب، قبل أن تقوم الحكومة الأمريكية بإيقافه، مما تسبب في إحباط هؤلاء العلماء، أما إقامة مستعمرة أو قلعة كاملة في قلب جبال جليد «الإسكيمو» بواسطة الطاقة النووية فكانت فكرة عالم فنلندي لم يجد مَن يتبنَّى أفكاره، وهكذا عندما وجد هؤلاء العلماء مَن يمد لهم يد المساعدة ويجمعهم سويًّا، كان هذا الناتج الرائع.

ضاقت عينا «أحمد» وتساءل: وما هو هدفكم النهائي؟

ابتلع «نانو» نفسًا عميقًا وقال: السيطرة على العالم.

أحمد: لا أفهم.

نانو: إن لدينا القنابل النووية، والأطباق الطائرة، والسلاح الإشعاعي، وما إن يكتمل استعدادنا قريبًا حتى تنطلق أطباقنا الطائرة مُهدِّدة العالم كله بأن يترك قيادته لنا، نحن شعب «الإسكيمو»، وبالطبع سنبدو أمام العالم كله بأطباقنا الطائرة كما لو كنا غزاة من كوكب آخَر، وسيخاف العالم من التصدي لنا بعد أن نهزم أقوى الدول في معارك صغيرة بفضل علومنا المتطورة، ولا بد أن العالم كله سيُعلن استسلامه لنا.

أحمد: وبعد ذلك تسودون العالم وتحكمونه من هنا ... من «الإسكيمو»!

نانو: ويصبح شعبنا هو حاكم هذا الكوكب، ولن يجرؤ إنسان على تدنيس أرضه مرة أخرى.

أحمد: تُرى ... هل يعرف بقية شعبك بما تخطط له؟

ابتسم «نانو» بخبث، وقال: هذا سؤال ذكي وماكر في نفس الوقت؛ لقد اعتاد شعبنا على التحمُّل في صمت، فهو لا يشكو أبدًا، ومن ثَمَّ كان من المستحيل أن أجد المساندة إذا ما كشفْتُ عن مشاريعي، ومن هنا كانت سِرِّيَتُها حتى عن أبناء قومي، ولكنهم سوف يتكاتفون معي عندما تجيء اللحظة الحاسمة.

ضاقت عينا «أحمد» وقال: أنت مجنون، هذا لا شك فيه.

برقت عينا «نانو» وظهر فيها التوحُّش، وقال: سوف تدفع ثمن تلك الإهانة غاليًا؛ فرجل «الإسكيمو» لا يترك مَن يهينه يعيش طويلًا.

بهدوء قال «أحمد»: من المؤسف أنني لا أجد وصفًا أصف به أفكارك غير الجنون، خاصةً أنني لا أجد مبررًا لتصرفاتك الغريبة؛ فالوضع اختلف الآن، لقد أصبحَتْ حياتكم أسهل كثيرًا، واستطعتم التقدُّم في نواحٍ شتَّى، فقد صار حصولكم على الطعام أسهل عندما امتلكتم البنادق، وصرتم تبيعون فراء الدببة والثعالب، وتشترون بثمنها أجهزة التليفزيون والمدافئ والملابس الفاخرة، وأصبحتم تقيمون في منازل حديثة دافئة، وصار أولادكم يتعلمون في المدارس.

نهض «نانو» في غضب شديد قائلًا: ومَن قال لكم إننا كنا نريد مثل هذه الأشياء؟ لقد أفسدتم حياتنا بهذه الأشياء، سوف تنشأ بعد ذلك أجيال ضعيفة من أهل «الإسكيمو» لا يجيدون حتى صيد الدببة بالحراب، أو بناء البيوت الثلجية، ويومًا ما سيضيق أهلنا بحياتهم الصعبة؛ فيهاجرون إلى الجنوب الدافئ، ويتشتتون في بقاع الأرض، ولم يَعُد هناك بعد ذلك شعبًا يُسمى بالإسكيمو، ووقتها وعندما يأتي أجدادنا مرةً أخرى بطيورهم المعدنية كما جاءوا منذ آلاف السنين لكي يجعلونا نسود على العالم، فلن يجدوا أحدًا في تلك البقاع غير الرجل الأبيض، فتضيع فرصتنا إلى الأبد.

اندهش «أحمد» عندما سمع كلمات «نانو» الأخيرة، وتأكَّدَ بما لا يدع مجالًا للشك بأنه يُعاني من نوع خاص من الجنون يسيطر عليه، فكيف يمكن له أن يتصور مجيء مخلوقات من كوكب ما بعد آلاف السنين لتجعل سكان «الإسكيمو» يسودون على العالم حتى لو كانت هذه المخلوقات قامت بتقديم المساعدة لذلك الشعب من قبل؟

وتحولت عينا «نانو» بلون الدم وهو يقول: لم يَعُد هناك مجال لمزيد من النقاش، وعليكم أن تستعدوا لأداء الشيء الذي أبقيتكم أحياء إلى هذه اللحظة من أجله.

أحمد: وما هو ذلك الشيء؟

نانو: سوف تكونون عيوننا في العالم كله، إلى أن تحين اللحظة الموعودة بعد وقت قريب، سوف نُطلِقُكم ونعيدكم إلى المكان الذي جئتم منه؛ لتكونوا عيوننا، وآذاننا البشرية؛ فتُرسلون إلينا كلَّ ما تسمعونه من العالَم عنا، والاحتياطات المأخوذة ضِدَّنا، وأية خطط قد تستعد بها حكومات الأرض لصدنا.

ابتسم «أحمد» في قسوة قائلًا: أنت مجنون — بلا شك — إذا ظننتَ أننا سنساعدك في هذا الأمر.

نانو: ليس لكم حيلة في الأمر، إن لدينا أجهزة متطوِّرة في غسيل المخ، سوف تزيل هذه الأجهزة ماضيكم ومشاعركم العدائية نحونا، ثم تغذيكم بمشاعر ودية تجاهنا، فالعالِم الهندي الذي اختطفناه من أجل أن يساعدنا حاول الهرب؛ فكان نصيبه طلقة إشعاعية قضت عليه، وهذا هو نصيب كل مَن لا يقوم بتنفيذ أوامرنا، أو يرفض التعامل معنا، والآن عليكم أن تطيعوا كل أوامرنا، وتصيروا مثل تلك الربوتات الآلية.

هتف «أحمد»: أنت مجنون بالفعل، هذا لا شك فيه.

بان الجنون في عينَيْ «نانو»، وصاح بصوت كالرعد: لا تزال تصر على إهانتي، لقد حكمتَ على نفسك بالموت أيها البشري، وسوف تموت الآن.

وأشار بيده فاندفع من باب خلفي ثلاثة آليِّينَ، ضخام الجسم كأنهم عمالقة، واندفعوا نحو «أحمد» وعيونهم الزجاجية تبرق بضوء أحمر دموي.

معركة مع الآليِّينَ

اندفع الآليُّونَ الثلاثة نحو «أحمد» الذي بُوغِتَ بالمفاجأة، ولكن أصابع أيدي الآليِّينَ الحادة مثل سنونِ السكاكين، جعلته يُفِيقُ من دهشته سريعًا ويستعد للقتال.

وكانَ طول الآليِّ الواحد يصل إلى أكثر من مترَينِ، ويبدو أنهم مُبرمَجِينَ لمهمة واحدة خاصة، القتل، واندفع أول رجل آلي نحو «أحمد»؛ فقفز «أحمد» إلى اليسار، ونظر بعينَيهِ محاولًا العثور على شيء يتسلَّح به ضد الآليِّينَ الثلاثة، ولكن لم تكن بالقاعة غير المقاعد الوثيرة والأرائك، وكانت كل الأبواب مُغلَقة، ويستحيل النفاذ أو الهرب منها.

كان الأمر أشبه بمصيدة قاتلة، وضحك «نانو» ضحكة عالية، واتسعَتْ عيناه ببريق دموي حاد، واقترب الآليون الثلاثة معًا على شكل نصف دائرة، وأحَسَّ «أحمد» بالحصار يضيق عليه، وتناول أقرب الأشياء إليه، وقذف بها الآليِّينَ، ولكن الأريكة الكبيرة تناثرَتْ إلى حطام وشظايا عندما مَسَّتها أصابع الآليِّينَ.

واستجمع «أحمد» كلَّ قوته وقفز في الهواء، وبقوةٍ سدَّد ضربة شديدة إلى الرجل الآليِّ الأول، ولكنَّ الآلي لم يهتز، ووقف ثابتًا كأنه جبل من المعدن، وامتدَّتْ يداه لتقبض على ساق «أحمد».

وأحس «أحمد» بالألم يكاد يعتصر ساقه عندما أطبق عليها الآليُّ بأصابعه، وشعر كأنها ستنفصل في يده، وكان على «أحمد» أن يعمل بسرعة البرق، فلمح طاقة صغيرة على شكل مربع في صدر الآلي كانت تبدو كما لو كانت مركز التحكُّم فيه، وبكل عنفٍ وجَّه «أحمد» ضربة هائلة إلى المربع المعدني في صدر الآلي، وأحس «أحمد» كأن قبضته أصابت قضيبًا من المعدن، ولكنه في نفس اللحظة انفجرَ شيء بداخل الآلي، وانبعث منه شرر معدني، وأفلت «أحمد» من أصابعه، ثم تهاوى على الأرض بلا حراك.

والتقط «أحمد» أنفاسه، وقبل أن يُفكر في شيء ما، كان الآليُّ الثاني قد حمله فوق ذراعَيْه بشدة، وتأهب ليُلقِيَه نحو الحائط.

وأحسَّ «أحمد» أنها النِّهاية، وأغمضَ عينَيهِ من شدة الألم الذي شعر به بسرعةٍ كالنار في ذراعه وساقه، التي قبض عليها الآليُّ العملاق بأصابعه القاسية.

وصاح «نانو» بصوت رهيب: سوف تنال عقابك الآن جزاء إهانتك لي، فلا أحد يخطئ في حق «نانو» ويعيش طويلًا، هيا أيها الآلي، اقتل هذا البشري ... وتأهَّبَ الآليُّ لقذف «أحمد» نحو الحائط بكل قوته، على حين استعد الآخَر للإجهاز عليه.

ولكن فجأةً، توقف كل شيء عندما دوَّى صوت مُباغِت يقول: أيها الآلِيَّان، لا تقتلا البشري واتركاه حيًّا.

لم يصدق «أحمد» أذنَيْه عندما سمع الصوت، وظنَّ أنه يحلم أو يتوهم، ولكن الآلي الذي كان يحمله أنزله في رفق إلى الأرض بعد أن خفَّفَ قبضته عنه، ووقف الآليان في صمت كأنهما ينتظران مزيدًا من الأوامر، على حين تقلَّص وجه «نانو» بغضب قاتل، وصاح في الصوت: لا يحق لك إصدار الأوامر هنا، إنني الرئيس، هيا أيها الآليان اقتلا هذا البشري، ولكنَّ الآليَّينِ لم يتحركا، وعندما جاءهما الأمر من الصوت الآخَر بأن يغادرا المكان، سارا باتجاه بابٍ في الركن، انفتح ليمرَّا منه.

انتفض «نانو» غاضبًا وقال: حسنًا، سأقوم أنا بالمهمة.

وانتزع من حزامه مسدسًا إشعاعيًّا صوَّبه إلى «أحمد»، ولكنَّ «أحمد» لم ينتظر هذه المرة فقد كان يمتلئ غضبًا.

قفز «أحمد» بعيدًا عن مسار الطلقة الإشعاعية التي أصابت مقعدًا خلفه؛ فحوَّلَتْه إلى كتلة من الجحيم المشتعل، وبقفزة أخرى طار «أحمد» نحو «نانو» وضربَهُ ضربة هائلة أطاحَتْ بالمسدس الإشعاعي، وألقَتْ به بعيدًا، وقبل أن يُفِيق «نانو» أصابته ضربة قوية جعلَتْه ينحني، وقد تقلَّص وجهه من الألم، وبضربة أخرى قوية اندفع إلى الخلف، وسقط على مسافة مترَينِ بلا حراك.

واندفع «أحمد» نحو المسدس الإشعاعي، ولكن ... وقبل أن يلتقطه، جاء الصوت الآخَر المجهول يقول: لا داعيَ للعنف، من الأفضل لك تنفيذ أوامرنا.

توقف «أحمد» لحظةً وهو يفكر فيما يفعله، واندفع إلى القاعة ستة آلِيِّينَ شاهِرِينَ مسدساتهم الإشعاعية نحو «أحمد» فجمد في مكانه صامتًا.

وقال الصوت: سوف تسير الأمورُ كما كان مُخطَّطًا لها، ستتم عملية الغسيل الآلي خلال ساعات، وأرجو أن تستعدوا لها جميعًا، الآن ستعود إلى زنزانتك.

تحرك «أحمد» خارجًا من القاعة، وقد أحاط به الآليون، وعادوا به إلى زنزانة الشياطين الذين ما إن انفتح باب زنزانتهم وشاهدوا «أحمد» حتى اندفعوا نحوه في لهفة شديدة يسألونه عما حدث له.

وكانت آثار معركته مع الآليِّينَ العمالقة لا تزالُ واضحة به، وكان لا يزالُ يشعر بألم في ذراعه وساقه من أصابع الآليِّينَ، ولكنه بذل مجهودًا كبيرًا لابتلاع ألمه، وأخذ يقص على الشياطين ما حدث، وكيف قابل «نانو»، والمعركة التي أوشك فيها الآليون على قتله؛ لولا ذلك الصوت المفاجئ الذي أمر الآليِّينَ بالتوقُّف في اللحظة الأخيرة.

صاح «عثمان» في غضب: هذا جنون، كيف يريدون أن يقوموا بغسيل مخ لنا؟ هل يظنون أننا سنساعدهم في عملهم الشرير؟ إننا لن نكون أقل شجاعة من العالِم الهندي الذي فضَّل الموت على مساعدة هؤلاء المجرِمِينَ.

قال «أحمد» في صوت يغلب عليه اليأس: لا فائدة، ليس أمامنا غير الاستسلام لهم وتنفيذ أوامرهم.

نظر الشياطين إلى «أحمد» ذاهِلِينَ وهم لا يصدقون ما يقوله؛ فلأولِ مرة في حياتهم يسمعون منه تلك اللهجة اليائسة، وذلك الاستسلام الذي قد يدفع العالَم كله ثمنه.

صاح «فهد» مذهولًا: ماذا تقول يا «أحمد»؟ مستحيل أن نستسلم لهم، ونفعل ما يريدونه، وكانت الوحيدة التي فهمت ما يقصده «أحمد» هي «إلهام» وبنفس الصوت اليائس قالت: إن «أحمد» على حق. ليس هناك غير الاستسلام، إنه يبقينا أحياء على الأقل بدلًا من الموت في هذا المكان، بدون أن يعرف مصيرنا إنسان.

خطة لإنقاذ العالم ... ولكن!

قبل أن يندفع بقية الشياطين في احتجاجهم على ما قالته «إلهام» أيضًا كانت هي أسبق منهم، وبلغة العيون قالت لهم: إن «أحمد» لديه خطة بلا شك، وهي تعتمد على إيهام مَن يأسرونا باستسلامنا لهم، فدعونا نستمع إليه.

التفت الباقون إلى «أحمد» الذي ارتسمَتْ على شفتَيهِ ابتسامة ضئيلة لذكاء «إلهام» وسرعة بديهتها، وقال بعينَيهِ: إن «إلهام» على حق، إن إصرارنا على رفض تنفيذ أوامر هؤلاء المجرمين قد يعني الموت الفوري لنا، بغاز سام، أو طلقات إشعاعية، ومن الأفضل التظاهُر بالاستسلام، والموافقة حتى تحين اللحظة المناسبة لتدمير هذا المكان.

عثمان: ولكن ما هي خطتك يا «أحمد»؟

أحمد: من الواضح أنَّ هذا المكان تمتلكه وتسيطر عليه جهة ما، لها نفوذ وإمكانيات ضخمة هائلة، هي التي مكَّنَتْ هذه الجهة من بناء مثل هذا المكان في قلب جبال الجليد والثلج، ولستُ أظن أن «نانو» كما أخبرني هو رئيس هذا المكان؛ فلا بد أنه يتظاهر بذلك حماية لعدم كشف الآخَرِينَ، إن «نانو» ليس إلا لعبة صغيرة في يد أكبر.

ريما: ولكن تلك القصة عن عودة أبناء «الإسكيمو» ليسودوا العالم.

أحمد: إنها من اختلاق «نانو»، فهو كما بدا لي مجنون، وجنونه من النوع الخطر، ولا بد أنه ادَّعى تلك القصة لشغلنا عن الهدف الحقيقي لَمَن يسيطر على هذا المكان، إنهم يريدون استعباد العالم، والتحكُّم في خيراته وتدميره لو لزم الأمر، وما يؤكد ذلك هو أنه عندما أوشك الآليان على قتلي جاءهما أمر من شخص ما يُوقفهما عن ذلك، وأمرهما «نانو» في نفس الوقت بقتلي، ولكنهما لم يُنفِّذا الأمر، وهذا معناه أن الشخص المجهول الذي أوقفهما عن قتلي هو الرئيس الحقيقي هنا، ولكن يُمكن أن يظل هذا الأمر خفيًّا عنا لولا

محاولة «نانو» قتلي التي استلزمَتْ من زعيم هذا المكان تدخُّلًا مباشرًا؛ فهم يريدوننا أحياء لعملية غسيل المخ، وليس من المعقول أن يكون شخص مثل «نانو» وهو مجرد مُرشد أن يُصبح مُسيطرًا على هذا المكان المليء بالعباقرة.

إلهام: ولكنهم عباقرة مجانين.

أحمد: هذا صحيح تمامًا؛ فأصحاب هذه الفكرة المذهلة لا بد وأنه يسيطر عليهم نوع من الاضطهاد، والإحساس بأن العالم لا يُقَدِّر موهبتهم وعبقريتهم، ولذلك فكَّروا في مثل هذا العمل الجنوني للسيطرة على كوكب الأرض.

مصباح: وما العمل الآن؟

أحمد: إن الأمل الوحيد المتاح أمامنا هو محاولة الوصول إلى المُفاعل الذري، الذي يمد هذا المكان بالطاقة، فإذا وصلنا إليه وقمنا بتعطيله أو تخريبه، فسوف يتوقَّف ويتعطل كل شيء هنا، نظام إمداد المكان بالطاقة والحرارة، وكذلك الأجهزة التي تُسَيْطر على فتح وغلق سقف المكان، وكذلك سيستحيل على الأطباق الطائرة مغادرة المكان، وبذلك يتعطل المشروع كله، وإذا لزم الأمر فسوف نقوم بنسف ذلك المفاعل الذري؛ ليتحول المكان كله إلى شظايا، ولا يهم ماذا سيكون مصيرنا؛ فإن مصير الملايين على الأرض أهم منا بكثير.

عثمان: وهل لديك خطة لذلك يا «أحمد»؟

أحمد: لقد لاحظتُ أن هناك طريقًا إلى اليسار خارج هذا المبنى يكثر فيه الآليُّونَ ونقاط الحراسة، وأعتقد أنه الطريق المؤدي إلى قلب المفاعل النووي، وأرجو أن نتمكن من الوصول إليه واقتحامه عندما يأتون إلى هنا ليأخذونا لغسيل المخ.

إلهام: والأسلحة التي سنقتحم بها المكان، ومن أين سنحصل عليها؟

أحمد: من الآليِّينَ الذين سيأتون لاصطحابنا إلى عملية غسيل المخ، تذكروا أنها مسألة حياة أو موت ... ليس لنا، بل لعالمنا بأكمله؛ ولذا فلن ندَّخر أي جهد لإنقاذ ملايين البشر، حتى ولو كان الثمن حياتنا جميعًا.

وساد صمت عميق، وغرق كلٌّ من الشياطين في أفكاره، وكلٌّ منهم يتساءل، تُرى هل ستنجح خطة «أحمد» في الوصول إلى المفاعل النووي وتعطيله، أو حتى نسفه؟ وماذا سيحدث إذا فشلت تلك الخطة؟

وكانت نتائج الفشل رهيبة، حتى إن الشياطين لم يستطيعوا تصوُّرها، وجاء الصوت المجهول يقول: حسنًا، إننا سعداء بقراركم وتعاونكم، منذ الآن ستحظون بمعاملة خاصة، ما دمتم قد وافقتم على التعاون معنا.

وانفتح الباب بعد لحظة، وظهر الآليون يحملون مائدة الطعام وأصنافًا عديدة منه، فأكل الشياطين بشهية؛ فقد كانوا يعرفون أنهم سيحتاجون إلى كل مجهودهم وطاقتهم خلال الوقت القريب القادم.

وتناول «أحمد» سكينًا بلاستيكية صغيرة أخفاها في قدمه قبل أن يعود الآليون ليحملوا بقايا الطعام والأطباق.

وجاء صوت أخير يقول: والآن، فلتستعدوا.

ترامق الشياطين في صمت، وانفتح الباب مرة أخرى، واندفع إلى الزنزانة ستة آليِّينَ عمالقة، فسار الشياطين أمامهم في صمت.

واتجه الجميع نحو مبنًى أخضرَ اللون، من طابق واحد، يقع إلى اليمين على مسافة مائتَيْ خطوة، وكان هذا المكان المُحدَّد الذي ستتم فيه عملية غسيل المخ بلا شك، وعندما لم يَعُدْ باقيًا على الوصول إلى المكان غير عشر خطوات، صاح «أحمد»: الآن، وفي الحال استدار الشياطين الستة نحو الآليِّينَ العمالقة، وفي لحظة واحدة انطلقَتْ أقدام الشياطين نحو المربع المعدني في صدر كل رجل آلي بضربة هائلة، كأنها طلقة مدفع، وترنَّح الآليُّونَ الستة، وانبعث الشرر منهم، وقبل أن يسقطوا على الأرض انطلق الشياطين على شكل مروحة مبتعدين عن بعضهم حتى لا يسهل اقتناصهم، واندفعوا إلى مبنى قريب يحتمون به.

وظهر عدد من الآليِّينَ يُطلِقون مسدساتهم الإشعاعية، ولم يكن أمام الشياطين غير تجنُّب الطلقات القاتلة، وهم بلا سلاح.

صاحَتْ «ريما» في الباقِينَ: فلنُسرعْ باقتحام مبنى العمليات والتحصُّن بداخله.

واندفعَتْ بلا حذر، و«إلهام» خلفها ... وما إن تجاوزتا مدخل الباب حتى انغلق عليهما بعنف، ووجدتا نفسيَهْما محاصرتَينِ بعدد كبير من الآليِّينَ بمسدساتهم القاتلة، وكانت أية مقاومة منهما تعني الموت، فاستسلمتا في صمت.

وفي الخارج لم يشعر بقية الشياطين بما حدث لـ «إلهام» و«ريما»، وهتف «مصباح»: فلنحاول الوصول إلى نقطة المرور للمفاعل النووي بأسرع ما يمكن، فكل تأخير يُقَلِّل من فرصة نجاحنا، سوف أحصل على سلاح بأي ثمن، واندفع إلى أقرب الآليِّينَ إليه، وأطاح بمسدسه واستولى عليه، في الوقت الذي كان «فهد» و«عثمان» يندفعان نحو آليِّينَ آخَرِينَ، واستوليا على مسدسَيْهما، وانطلق الشياطين الثلاثة اتجاه نقطة التفتيش المؤدية للمفاعل، وهم يُطلقون مسدساتهم التي أصابت بعض الآليِّينَ.

وما كاد الشياطين الثلاثة يقتربون حتى انهارَتْ الأرضية تحت أقدامهم، وأحسوا أنهم يسقطون إلى هوة عميقة مظلمة.

نجدة ... في اللحظة الأخيرة!

شاهد «أحمد» ما حدث لـ «عثمان» و«مصباح» و«فهد»، وعرف أن «إلهام» و«ريما» قد وقعتا في الأسر أيضًا عندما اختفتا عن عينَيْه.

وأدرك «أحمد» أن عليه أن يخوض المعركة وحده، ولم يكن هناك وقت لإنقاذ الشياطين الخمسة، وكان عليه الوصول إلى المفاعل النووي بأية طريقة.

ومن مكانه شاهد بعض الحراس البشريِّينَ يظهرون لأول مرة في بذلات مطاطية زرقاء، ويُشهرون مسدساتهم الإشعاعية ... و...

كانت المعركة تدخل مرحلتها الأخيرة، وكتم «أحمد» أنفاسه إلى أن اقترب أحد الحراس من «أحمد» بدون أن ينتبه إليه، فجذبه «أحمد» خلف المبنى الذي كان مُختفِيًا فيه، وبضربة سريعة قوية فقدَ الحارس وَعْيَه.

وفي لحظاتٍ قام «أحمد» بتبديل ملابسه بملابس الحارس، وحمل مسدسه الإشعاعي، ثم انطلق نحو نقطة التفتيش المؤدية إلى المفاعل.

وفي نفس اللحظة دوَّى صوت في المكان يقول: تحذير إلى الأسير الهارب، زملاؤك الخمسة في الأسر، أي مقاومة من جانبك تعني موت الباقين ... سلِّم نفسك لأقرب آلي.

وعاد الصوت يُكَرِّرُ النِّداء والتحذير، ولكن «أحمد» اتجه نحو نقطة التفتيش بقلب ثابت، وأبرز الكارت المغناطيسي الذي كان يحمله الحارس، فسمح له الآليُّونَ بالمرور بعد تفتيشه.

سار «أحمد» قليلًا، وتوارى خلف مبنى صغير عندما ظهرَتْ سيارة كهربائية صغيرة يقودها أحد الآليِّينَ، فأشار «أحمد» له بالوقوف، ثم أطاح به بعيدًا بضربة من قبضته عطَّلَتْه.

وقفز «أحمد» إلى السيارة وقادها باتجاه المفاعل.

وظهرَتْ نقطة تفتيش أخرى، وأوقف «أحمد» سيارته الكهربائية، وتقدم منه أحد الحراس بعيون مليئة بالشك، فقال له «أحمد»: هناك رسالة هامة أريد إبلاغها للمسئول عن المفاعل.

– عليك بإبراز تصريح المرور.

تظاهر «أحمد» بالبحث في جيبه عن التصريح، ثم بحركة مفاجئة أطلق قبضته، ووجَّه ضربة قوية للحارس الذي ترنح للخلف، واندفع «أحمد» يجتاز نقطة التفتيش الأخيرة، وصاح الحارس من خلفه: أمسكوه ... أمسكوا به.

واندفع بعض الحراس خلف «أحمد» وهم يطلقون مسدساتهم الإشعاعية، فاحتمى «أحمد» خلف حاجز حديدي، وأخذ يرد على الحراس طلقاتهم.

وألقى «أحمد» نظرة إلى الخلف، كان مبنى المُفاعل يظهر على البُعد، تفصله مسافة لا تقل عن ألف متر في طريق مكشوف يستحيل على «أحمد» قطعه، وإلا تعرَّض للطلقات الإشعاعية المميتة.

واندفع إلى المكان بعض الآليِّينَ، ودوَّى صوت آلي يطلب من بقية الحراس والآليِّينَ التوجُّه إلى منطقة المفاعل لحمايتها، والقبض على «أحمد».

تأكد «أحمد» من استحالة وصوله إلى المفاعل بعد أن شاهد الحراس والآليِّينَ يندفعون باتجاهه لحماية المفاعل، ومنع «أحمد» من الوصول إليه.

وكان على «أحمد» أن يُفكر في خطة أخرى، وكان الوقت يمر سريعًا، وكل ثانية يفقدها تتضاءل معها فُرَصُه في تحقيق ما يريد.

ولمَعَتِ الفكرة في ذهن «أحمد»، وفي هدوءٍ كان عليه تنفيذها.

وعندما اقترب بعض الحراس من مكانه، وتجاوزوه وهم يجرون باتجاه المفاعل انضم إليهم من الخلف بدون أن يلاحظوه، ثم انحرف إلى اليمين أمام مبنًى لا يبعد عن المفاعل بأكثر من مائة متر، وكان المبنى مليئًا بالفنِّيِّينَ، والعلماء الذين راحوا يتعاملون مع الأجهزة الإلكترونية المُعَدَّة، والشاشات التليفزيونية التي أخذت ترسم خطوطًا متعرجة.

ولم يكن «أحمد» بحاجة لَمن يؤكد له أن ذلك المبنى هو المُتحكِّم في المفاعل الذري، ومن خلاله يتم التحكم في التفاعل النووي بداخل المفاعل، وكذلك التحكُّم في الطاقة الناتجة منه، وتوجيهها إلى الغرض المطلوب.

سار «أحمد» في أرجاء المبنى حتى توقف أمام حجرة ذات رسم خاص على بابها، كان هو رسم الجمجمة القبيحة الشكل، وبلا تردُّد فتح «أحمد» الباب ودخل، وقبل أن يسأله

الفنيُّ الموجود بداخلها، أسكته «أحمد» بضربة أرسلَتْه إلى عالم الغيبوبة، وألقى «أحمد» نظرة على الأجهزة التي أمامه، وكانت الغُرفة خاصة بقياس درجات التسرُّب الإشعاعي من المفاعل النووي، وابتسم «أحمد» ابتسامة واسعة، كان هذا هو ما يُريده بالضبط، كأنما قادَتْه حاسَّتُه إلى المكان.

وضغط «أحمد» على بعض الأزرار أمامه في جهاز خاص أخذ يعبث به، وفي الحال لمَعَتْ لمبة حمراء، ودوَّى صوت آليٍّ يقول: تحذير، تحذير إلى كل العاملين، حدث تسرُّب إشعاعي من المفاعل بدرجة خطيرة!

على الجميع مغادرة المكان في الحال، تحذير!

وأخذ الصوت الآلي يُكَرِّر النداء، وتنفَّس «أحمد» بارتياح، فقد تحقَّق له ما يُريد بدون اللجوء إلى العنف وتدمير المفاعل.

وفي الخارج أصاب التحذير كلَّ العامِلِينَ بالرعب، فانطلقوا يصرخون، وهم يندفعون نحو الأبواب القريبة محاوِلِينَ مغادرة المكان، وحتى الآليِّينَ أصابهم الاضطراب.

غادر «أحمد» المبنى بسرعة، فشاهد الجميع يندفعون إلى باب قريب من الصلب، كان واضحًا أنه مُخصَّص للهروب في حالة حدوث أي تسرُّب إشعاعي.

وانقضَّ «أحمد» على أحد الحراس، وأمسكه من رقبته وطلب منه أن يقوده إلى مكان الشياطين الأسرى.

وتحت التهديد قاد الحارس «أحمد» إلى مبنى قريب، تؤدي إلى أرضيته سلالمُ هابطة لأسفل، إلى زنزانة تحت مستوى الأرض.

وبطلقة إشعاعية حطَّم «أحمد» أقفال الباب، وما كاد يَعْبُر منه حتى هوَتْ عليه ضربة هائلة تحاشاها في اللحظة الأخيرة قبل أن تُحطِّم رأسه.

وتوقف «عثمان» مذهلًا؛ فقد كان يظن أن في الداخل أحد الحراس، وابتسم «أحمد» وهو يقول: لقد توقعت بعض المقاومة منكم، فتحاشيتُ الضربة في الوقت المناسب، هيا بنا.

وقبل أن يتحركوا فوجئوا بـ «نانو» يظهر في مدخل الزنزانة شاهرًا مسدسه الإشعاعي في وجوه الشياطين، وهو يقول: لقد توقعتُ ما حدث عندما سمعتُ نداء التحذير الإشعاعي، وكان توقُّعي في مكانه، وها قد جئتُ لتصفية الحساب بيننا، سوف ...

ولم يُكمِل «نانو» ما يريد قوله، فلم يكن لدى الشياطين وقت ولا رغبة في الاستماع إليه، وفي لحظة واحدة قفز الستة نحوه مُصوِّبِينَ إليه ضرباتهم في غضب شديد، واندفع «نانو» إلى الخلف كالقذيفة، كأنما صدمَتْه قاطرة، وسقط على الأرض بلا حراك.

واندفع الشياطين يُغادرون الزنزانة، وكان المكان خاليًا إلا من الآليِّينَ الذين أخذوا يسيرون باضطراب وبلا هُدى.

وصاح «عثمان» في الباقِينَ: علينا بنسف المكان.

أحمد: فلنوقف المفاعل النووي أولًا حتى نخرج سالِمينَ من هذا المكان.

إلهام: ولكن ... ألن تنفجر القنابل الذرية التي سرقَتْها الأطباق الطائرة، وأخفَتْها في هذا المكان؟

أحمد: لا بد أنها مُخفاة في أماكن بعيدة داخل الجليد، ولن يطولها الانفجار، وسوف تُدفَن في مكانها للأبد، ولن يعثر عليها إنسان.

واندفع «أحمد» إلى المبنى الخاص بالتحكُّم في المفاعل النووي، فقام بتشغيل أجهزة إيقاف المفاعل، وزيادة درجة التجمُّد والبرودة حوله، حتى يتجمد نشاطه تمامًا، ثم اندفع ليلحق ببقية الشياطين الذين تمكنوا من الوصول إلى بعض القنابل الخاصة بالحراس، وزرعوها في أرجاء المكان لتكون جاهزة للانفجار بعد خمس دقائق، واندفع الشياطين نحو بوابة الهروب من المكان، والتي غادر الآخَرُونَ المكانَ منها، وما كادوا يقتربون منها حتى فوجئوا باندفاع الحراس نحوهم شاهِرِينَ أسلحتهم الإشعاعية، ومعهم العلماء والفنِّيِّينَ.

صاح «عثمان»: يبدو أنهم اكتشفوا الخدعة؛ لنُسرع بحماية أنفسنا.

وانطلقَتِ المسدسات الإشعاعية من الحراس نحو الشياطين الذين أسرعوا يحتمون بالمبنى الذي غادروه منذ لحظات.

وأخذ «أحمد» و«عثمان» يتعاملون مع الحراس، ويردُّون الطلقات عليهم، وأخذ الوقت يمر والدقائق تتناقص.

واتسعَتْ عينا «إلهام» وهي تنظر في ساعتها، وتقول: لم يعُدْ هناك وقت، سوف ينفجر المكان خلال ثوان قليلة.

أحمد: فلنُسرع إلى القاعة الكبيرة التي هبط منها الطبق الطائر بنا في هذا المكان؛ فسوف تكون أقل الأماكن ضررًا بسبب الانفجار، فلا شيء فوقها غير قمة الجبل الجليدي، وهي قمة هشة.

واندفع الشياطين يغادرون المكان، وطلقات «أحمد» و«عثمان» تحميهم، وأخذوا يجرون باتجاه القاعة الكبيرة، واندفع الحراس خلفهم.

وفجأةً دوَّى انفجار، ثم آخَر، وتلفَّت الحراس حولهم في ذعر، وتوقفوا عن مطاردة الشياطين، ولم يكن هناك وقت أمامهم للوصول إلى منفذٍ للهروب، وأخذ المكان ينهار ويتحوَّل إلى حطام وشظايا.

اندفع الشياطين بأقصى سرعتهم حتى وصلوا إلى قاعة الهبوط، في اللحظة التي انفجرَتْ فيها العُبُّوات الناسفة، فدمرت الأطباق الطائرة الراقدة على أرضها، وتشقق السقف البلاستيكي المُبطَّن بالصلب، وبدأ ينهار.

ثم تهاوى السقف، وسقطَتْ كتلٌ من الجليد إلى أسفل، فأسرع الشياطين يحتمون منها في أحد الأركان.

ارتج المكان بشدة، وصاحت «ريما»: إن المكان ينهار، سيحدث انهيار جليدي، سيطيح بنا، وندفن تحت آلاف الأطنان من الثلج.

أحمد: إلا إذا ...

ولم يكمل «أحمد» جملته حتى سمع الجميع أزيز صوت طائرة عمودية، وهي تحلِّق فوق المكان، لقد وصل بقية الشياطين في الوقت المناسب؛ كأنهم يعرفون كل منا يجرى بداخل ذلك المكان الرهيب، ووصلوا في اللحظة المناسبة تمامًا.

وأَسْقَطَتْ طائرة الهليوكبتر حبلًا سميكًا تعلَّق به الشياطين الستة كالبهلوانات في اللحظة الأخيرة، قبل أن يبدأ الانهيار الجليدي الذي دَفَنَ كل شيء تحته، كأنما لم يكن له وجود من قبلُ أبدًا.

وابتسم «أحمد» وهو مُعلَّق في الحبل مع بقية الشياطين الستة، والطائرة العمودية تبحث عن مكان أمين للهبوط، وقال «أحمد» لـ «إلهام» أعتقد أننا قُمنا بعمل رائع.

إلهام: كنت أتمنى أن أتعرف على الأشخاص الذين أقاموا هذا المكان وسط الجليد، وكادوا يسيطرون على العالَم كله.

أحمد: لقد دُفِنوا تحت الجليد، فلا يهم معرفة مَن كانوا، والمهم أننا اكتشفنا حقيقة تلك الأطباق الطائرة المزيفة.

إلهام: ولكن ألا تظن أنه يومًا ما ستظهر أطباق طائرة أخرى قد تكون حقيقية هذه المرة، وتبغي السيطرة على الأرض؟

أحمد: لقد أعطى الله للإنسان العقل والذكاء، وميَّزَه بهما عن سائر مخلوقاته، ومَهْمَا كانت درجة الخطر التي ستتعرض لها الأرض يومًا ما؛ فإن الإنسان بعقله وذكائه قادر على مواجهة هذا الخطر، ومَن يدري؟ ربما يوجد وقتها نوع آخَر من الشياطين يواجه تلك القوة المجهولة الغازية.

واستقر الشياطين الستة داخل الطائرة الهليوكبتر التي حلَّقَتْ بهم فوق رءوس جبال الجليد كأنها تُلقي نظرة وداع أخيرة للمكان قبل أن تنطلق عائدةً من حيثُ أَتَتْ.

هنـــداوي